العدد 2191 - السنة الثامنة
الأربعاء الموافق 17 يونيو 2015
Wednesday 17 June 2015 - No.2191 - 8th Year

تهيئة النفس لاستقبال الأيام المباركة تحتاج عدة وقفات واستعدادات جادة

رمضان.. موسم الخيرات وشهر التغيير

■ عوض الله المسلمين عن قصر أعمارهم ما يدركون به أعمال المعمّرين بمضاعفة الأجور والحسنات

الاستعداد لرمضان يتطلب الاستغفار والاجتهاد في العبادة

■ على كل إنسان أخذ العبرة من سرعة الزمن ودفع نفسه إلى العمل الصالح وهجر المعاصي

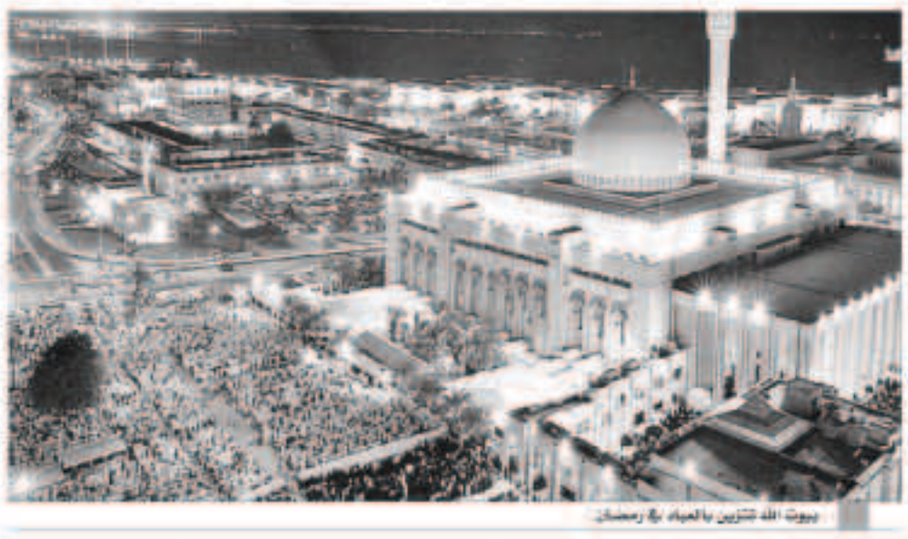
بيوت الله تتزين بالعباد في رمضان

تدور عجلة الزمن بسرعة مذهلة ترتجف منها القلوب الحية، ذلك أن المسلم يكاد يطيش عقله عندما يقف مع نفسه محاسبا: ماذا قدّم فيما انقضى من أيام عمره ولياليه ويزداد خوفا وفرقا عندما يستحضر ما رواه الترمذي وابن ماجة وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك. فيا الله ما أقصر الأعمار.... !!! تبلغ الستين أو السبعين أو الثمانين أو المئة، ثم تنتهي من الدنيا وتنتقل إلى الآخرة. وهذا إن لم تتخطفك المنون في سن الشباب أو الكهولة....!!!!

لكن عزاء المسلمين أن لهم ربا لطيفا رحيما، عوضهم بقصر أعمارهم ما يدركون به أعمال المعمرين مئات السنين، وذلك بمضاعفة الأجور والحسنات بحسب شرف الأزمنة والأمكنة ومواسم الطاعات. ومن ذلك ما أنعم الله به على عباده بفضيلة شهر الصيام ففيه مضاعفة للحسنات، وتكفير للسيئات، وإقالة للعثرات؛ فلذلك والذي قبله أحببت التذكير مع قدومه بهذه الوقفات:

وقفة محاسبة

يجب على كل مسلم أن يأخذ العبرة من سرعة تصرم الأيام والليالي فيقف مع نفسه محاسبا، حسابا يدفعه إلى العمل الصالح وهجر الذنوب والمعاصي فلو يرجع بذاكرته ويستعرض ما مضى من عمره، ويتأمل عامه الذي انصرم بأيامه ولياليه وثوراته ومآسيه، انصرم وكل لحظة منه تباعدنا عن الدنيا وتقربنا من الآخرة. قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: «ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الآخرة مقبلة ولكل واحدة منها بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل». أخرجه البخاري.

ولله در القائل:

تسير إلى الآجال في كل لحظة
وأعمارنا تطوى وهن مراحل
نرحل من الدنيا بزاد من التقى
فعمرك أيام وهن قلائل
وما هذه الأيام إلا مراحل
يحث بها حاد إلى الموت قاصد
وأعجب شيء لو تأملت أنها
منازل تطوى والمسافر قاعد

فالكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني كما في حديث شداد بن أوس عند الترمذي وغيره. وقد أمرنا الله بمحاسبة أنفسنا فقال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد».

قال ابن كثير رحمه الله: «أي حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وانظروا ماذا ادخر تم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم». فمحاسبة النفس هي دين العلماء العاملين والعباد الصالحين. فهذا الحسن البصري يقول: «يا ابن آدم إنما أنت أيام فإذا ذهب يوم ذهب بعضك».

فلله كم يوم من أعمارنا أمضيناه، ولله كم من صديق فقدناه، وكم من قريب بأيدينا دفناه، وكم عزيز علينا في اللحد أضجعناه، كانوا يتشوقون لإدراك هذا الشهر الكريم، ليظفروا بالصيام والقيام ويتعرضوا لنفحات الكريم المنان، فحضرت آجالهم وقطع الموت حبال آمالهم، فحسبهم أنهم على نياتهم يؤجرون كما في الصحيحين من خبر الصادق المصدوق: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى».

التوبة التوبة

المسلم ليس معصوما عن الخطأ، فهو عرضة للوقوع في الذنوب والآثام وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وبين أنه من طبع البشر وبين علاجه فقال: «كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون». كما في حديث أنس رضي الله عنه الذي أخرجه أحمد والترمذي وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «والذي نفسي بيده، لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم». أخرجه مسلم.

وشهر رمضان هو شهر مغفرة الذنوب وشهر القبول ومضاعفة الحسنات وشهر العتق من النار هو الشهر الذي «تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب النار وتصفد فيه الشياطين» كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة. «هو الشهر الذي» ينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة» كما في السنن وعند أحمد من حديث أبي هريرة أيضا

■ حري بالمؤمن الصادق الذي أدرك الشهر أن يغتنمه بتوبة نصوح وانطلاقة جادة وعزيمة أكيدة

■ لا نجاة للأمة مما هي فيه إلا بعودة صادقة إلى الله والتزام حقيقي بمنهج رسوله

فحري بالمؤمن الصادق الذي مد الله في عمره، حتى أدرك هذا الشهر أن يغتنمه بتوبة صادقة وانطلاقة جادة بعزيمة أكيدة، فيجدد العهد مع الله، بأن يلتزم بطاعته، وأن يأتمر بأوامره وينتهي عن مناهيه، ويستقيم على دينه حتى يلقاه، فإن العبرة بالخواتيم.

فرصة لتطهير القلوب

إن الناظر بعين البصيرة إلى حال الناس اليوم ليرى واقعا مؤسفاً وحالاً سيئة... يرى إقبالاً على الدنيا الفانية وتنافسا مخيفا في جمع حطامها، حتى إنك لترى الرجل تعرفه وعهدك به ذا حياء ولطف وخلق جم.... فما أن يقبل فيها ويدبر إلا ويصبح ذئبا ضاريا، همه الظفر بالمال، وعدوه من شاركه في مهنة، أو نافسه في بيعه، فسبحان الله وكأن أولئك خلقوا للدنيا أو سيعمرون فيها... وصدق القائل:

وما هي إلا جيفة مستحيلة
عليها كلاب همهن اجتذابها
فإن تجتذبها كنت سلما لأهلها
وإن تجتذبها نازعتك كلابها

وكذلك ترى أمرا آخر لا يقل عن سابقه قبحا: وهو تقاتل الناس على الرياسة وحب الظهور والشهرة وهذا كله مما يوغر الصدور ويمرض القلوب، فيتولد الحقد الدفين، والبغضاء والحسد المشين.

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: «ما من أحد أحب الرياسة إلا حسد وبغى وتتبع عيوب الناس، وكره أن يذكر أحد بخير».

وصدق رحمه الله فقد رأينا هذا واقعا مشاهدا، وقد نهانا النبي عما يوغر الصدور ويبعث على الفرقة والشحناء ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال»، وعندما سُئل النبي أي الناس أفضل؟ قال: «كل مخموم القلب صدوق اللسان». قالوا: صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب؟ قال: «هو التقي النقي، لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد». «رواه ابن ماجه والطبراني من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص».

فهذا هو رمضان موسم الصفاء والإخاء والألفة والمحبة كيف لا؟ وأنت تسمع الضجيج بالتأمين على الدعاء، وتشاهد النشيج بالبكاء فهل يحصل مع هذا تباغض وجفاء؟ فنسأل الله أن يطهر القلوب ويستر العيوب.

ذكرياتنا الخالدة

عندما نذكر تاريخنا في رمضان فإننا نذكر تاريخا مشرقا وأمجادا تليدة، نذكر نصرا وفخرا، عزة وشموخا نذكر بطولات حققها الأخيار.

فنفخر بغزوة بدر الكبرى وفتح مكة، ونعتز بفتح عمورية ونخوة المعتصم، ونذكر فتح الأندلس ونتشرف بذكر انتصارات صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين فبعد موقعة حطين الشهيرة وتحرير بيت المقدس من قبضتهم، وأثناء تحقيق هذا الانتصار الباهر دخل شهر رمضان الكريم فأشار رجال صلاح الدين عليه أن يستريح خلال هذا الشهر الكريم نظير ما لاقاه من جهد ومشقة، لكنه رفض ذلك وقال «إن العمر قصير والأجل غير مأمون والسماح للمغتصبين بالبقاء في الأرض الإسلامية يوما واحدا مع القدرة على استخلاص الأرض منهم، عمل منكر لا أستطيع حمل مسؤوليته أمام الله وأمام الناس».

فهذا شيء من ذكرياتنا في رمضان يهتز لها القلب بهجة وسرورا وترتفع الهام عزة وشموخا، ولكن يعصف بذلك كله النظر إلى واقع الأمة اليوم: فهي تعيش مصائب شتى، ونكبات لا تحصى. فالنصيرية تتراقص على جثث أهل السنة في سوريا وتدفنهم وهم أحياء، وفلسطين ترزح تحت الاحتلال اليهودي، والحوثي يعبث في اليمن، في تحالف صفوي يهودي شيوعي صليبي ضد السنة وأهلها!!!

والأمة تعيش في ذلة وهوان، وضعف وخذلان، فلنعلم علما يقينيا أنه لا نجاة لها مما هي فيه إلا برجعة صادقة إلى الله، وبالتزام حقيقي بمنهج رسوله، فذلك هو أساس النصر والنجاح والتمكين، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

دلائل على الحكمة والإبداع والعزة والغضب والرحمة والإحسان

مشاهد من تسبيح الكون لله الواحد القهار

عظمة الخالق تتجلى في خلق الكون

■ العقل البشري يقف حائراً أمام هذا الخلق العظيم للسماء والنجوم والكواكب

■ أنواع الرياح المتعددة التي يرسلها الله على من شاء رحمة وعذاباً دليل على عظمته وعزته

■ النمل يربي الخنافس في جوف الأرض زمنا حتى تفقد بصرها ثم يقوم بتسخيرها كالأبقار

بيوت النمل تصل إلى 20 طابقا

لا شك في أن الكون كله يسبح لله الواحد القهار، وأن الإنسان المسبح لله ينسجم مع نواميس هذا الكون، لذا نستعرض في هذه الصفحة ثلاثة مشاهد من مشاهد الكون: مشهد الحكمة والإبداع، مشهد العزة والغضب، مشهد الرحمة والإحسان.

1- مشهد الحكمة والإبداع

في هذا المشهد نستعرض وإياكم بعض الآيات الكونية في باب الحكمة والإبداع في خلق هذا الكون، في الأرض والسماوات والبحار، الفلك والكون العظيم؛

والله تعالى يدعونا في آيات كثيرة إلى التأمل والتفكر في خلق السماوات والأرض، قال تعالى: «لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون».

إذا رفعت رأسك فرأيت الشمس والقمر والنجوم فلنستحضر هذه المعاني الثلاثة التي أخبر الله عنها في القرآن:

1. إن هذه المخلوقات آية من آيات الله «ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون».

2. إن هذه المخلوقات مسخرة مذللة، يقول تعالى: «والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره»، ويقول سبحانه: «وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه».

3. والعجيب أنها تسجد لربها وتسبح بحمده «ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم... الآية».

مشهد العزة والغضب

في هذا المشهد نستعرض وإياكم بعض الآيات الكونية في باب العزة وتمام القدرة والقوة والغضب.. نشاهد عدة مشاهد للرياح، والفيضانات، والزلازل والبراكين، ولنبدأ بالرياح.

أنواع الرياح

الرياح جند من جند الله يسلطها على من يشاء.

هذا الهواء الخفيف الذي يجريه الله ويسخره من حولنا سرعان ما يتحول إلى قوة عظيمة تقتلع الأشجار، وتهدم البيوت، وتقتل الأنفس.

وقد ذكر الله تعالى في القرآن أنواعا من الرياح منها:

الريح العاصف: الشديدة، الحاصب: التي تثير الرمال والحصى، الصرصر: وهي الباردة شديدة الهبوب، القاصف: الريح التي تقصف وتدمر ما يعترضها، الإعصار وقد يكون فيه نار محرقة «فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت».

كل هذه الأنواع من الرياح التي يرسلها الله تعالى متى شاء على من شاء من عباده فيها دلالة على عظمته وعزته.

ولهذا أرسل الله الريح على الأمم المكذبة.. فأرسل على عاد قوم هود الريح العقيم، ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم. ولما غرتهم قوتهم «وقالوا من أشد منا قوة» قال الجبار جل جلاله: «فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون».

مشهد الرحمة والإحسان

في هذا المشهد نستعرض وإياكم بعض الآيات الكونية في باب الرحمة والإحسان.. إنزال المطر، وسائل النقل، عالم النمل، النحل، العناكب، أمومة الحيوانات، إلهام الطيور.. ولنبدأ بنعمة المطر.

إنزال المطر

أخبر الله تعالى أنه ينشئ السحاب الثقال، ويرسل الرياح فتثير سحابا وتسوقه إلى حيث شاء الله.. ثم يبسط الله السحاب ويجعله كسفا ويجعله ركاما، يعني بعضه فوق بعض.. ثم ينزل المطر والبرد من هذا السحاب المتراكم.

وقد ذكر الباحثون أنواعاً من السحب منها: السحب الركامية، قالوا: إن السحب الركامية تنمو بشكل تصاعدي حتى تكون كالجبل.

هذا الجبل من السحب ينزل المطر من المنطقة التي في وسطه، فإذا ارتفعنا إلى الأعلى في قمة الجبل حيث تصل درجة الحرارة إلى 40 إلى 50 درجة مئوية تحت الصفر فإن الفرصة مهيأة لنزول البرد من هذه المنطقة.

دعونا نتأمل في هذه الآية العظيمة «ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله، وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار، يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار».

عالم النمل

ذكر الله في قصة سليمان أن النملة قالت للنمل: ادخلوا مساكنكم. فكيف هي مساكن النمل؟

يبني النمل مساكنه في مستعمرات بهندسة دقيقة، وتصل طوابق المستعمرة إلى 20 طابقا.

مستعمرات النمل يسكنها من 50 ألف إلى 500 ألف نملة.. كل مستعمرة فيها الممرات، والجسور، والمخازن، والمقابر.

وللنمل مزارع خاصة به، قد تصل مساحتها إلى خمسة عشرة مترا من الأرض، فتقوم جماعة من النمل بحرث الأرض، وجماعة تزيل الأعشاب، وغيرها تقوم بحراسة المزرعة من الديدان.

جمع الحبوب وتكسيرها وحفظها

خلق الله النملة، تذهب لرزقها في الصباح وتعود في المساء، تعلم بقدوم فصل الشتاء حيث الأمطار والبرد، فتدخر قوتها في الصيف في مخازن تحت الأرض، حتى إذا جاء فصل الشتاء، كان عندها ما تعيش عليه.

وإذا خافت النملة أن تنبت الحبة داخل البيت، فسمتها نصفين لئلا تنبت، فمن علمها؟ ومن يصرها؟ إنه الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

ولاحظ العلماء أن النمل يكسر بذرة الكزبرة إلى أربعة أقسام وليس قسمين كبقية البذور، فلما بحثوا الأمر وجدوا أن بذرة الكزبرة تتميز بأنها يمكن أن تنبت إذا قسمت إلى نصفين، فسبحان من هدى النمل لهذا الأمر.

أبقار النمل

يقول «رويال ديكتسون» أحد علماء التاريخ الطبيعي، في كتابه شخصية الحشرات، لقد ظللت أدرس مدينة النمل حوالي عشرين عاما في بقاع مختلفة من العالم فوجدت أن كل شيء يحدث في هذه المدينة بدقة بالغة، وتعاون عجيب، ونظام لا يمكن أن تراه في مدن البشر، علاوة على الهدوء والسكون.. لقد راقبته وهو يرعى أبقاره، وما هذه الأبقار إلا خنافس صغيرة، ربأها النمل في جوف الأرض زمنا طويلا حتى فقدت في الظلام بصرها.. ثم يقوم النمل بحرفة الرعي وتسخيرها كالأبقار.

النمل الحلاب يربي المن

ففي الربيع الباكر، يجمع النمل بيض حشرة المن أو البق، ثم يضعه في المستعمرة، ويعتني به حتى يفقس وتخرج صغار المن، ومتى كبرت تدر سائلا حلوا يقوم على حلبه جماعة من النمل، لا عمل لها إلا حلب هذه الحشرات بمسها بقرونها وتنتج هذه الحشرات 48 قطرة من العسل كل يوم.